المحاضرة ١

نبذة مختصرة عن معنى الاستشراق ونشأته

تعريف الاستشراق: وكلمة الاستشراق مشتقة من (شرق)، ((يقال شرقت الشمس شروقاً إذا طلعت)) ، وهي تعني مشرق الشمس، وترمز إلى مجال الاهتمام بهذا الحيز المكاني من الكون وهو الشرق[١].

أما إذا أضيف إليها الألف والسين والتاء والتي تعني طلب الشرق؛ فإن معناها طلب علوم الشرق وآدابه وأديانه بصورة شاملة، ومنهم من يقول: ليس القصد منه الشرق المكاني الجغرافي، وإنما هو الشرق المقترن بالشروق والنور والهداية.

واصطلاحاً: اتجاه فكري يُعنى بدراسة الإسلام والمسلمين ويشمل ذلك كل ما يصدر عن الغربيين من دراسات تتناول قضايا الإسلام والمسلمين في العقيدة والسنة والشريعة والتاريخ، وغيرها من مجالات الدراسات الإسلامية الأخرى، ويُلحق بالاستشراق ما تبثُّه وسائل الإعلام الغربية من كتابات وبرامج تتناول الإسلام والمسلمين وقضاياهم.

وقريباً من هذا التعريف الشامل يعرِّف **((إدوارد سعيد))** الاستشراق بقوله: ((كل من يقوم بتدريس الشرق أو الكتابة عنه أو بحثه، وسواء كان ذلك المرء مختصاً بعلم الإنسان ((الأنثربولوجيا))، أو بعلم الاجتماع، أو مؤرخاً أو فقيه لغة ((فيلولجيا)) في جوانبه المحدودة والعامة على حد سواء هو ((مستشرق))، وما يقوم به هو أو هي بفعله هو ((استشراق))(٢).

نشأة الاستشراق وتطوره:

إن استطلاع آراء المستشرقين في الوحي في الرسالة المحمدية يحددها النظر إلى بداية الصلة الثقافية بين الشرق والغرب، أو ما يعرف ببداية الاستشراق، وهي بداية دراسة الغربيين للغات الشرقيين وظروفهم العامة التي **بدأت في إسبانيا، ثم انقطعت لسقوط غرناطة عام ١٤٩٢م، ثم عادت بعد توحيد الكنيستين الغربية والشرقية في القرن السادس عشر.** [٢]

---

(١) الأثر الاستشرافي في موقف محمد أركون من القرآن (ص: ٢)

(٢) آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي (ص: ٢٠)

اختلف الكُتَّاب من مسلمين وغير مسلمين حول تحديد نشأة الاستشراق، وذُكر في ذلك أقوال عدة، ويرتبط تحديد نشأة الاستشراق بتعريف هذا المصطلح وتحديد مفهومه، ويمكن إجمال ذلك بعدة أقوال منها:

١- من يعرِّف الاستشراق بأنه دراسة الغرب لأديان الشرق وثقافته دون حصره في دراسة الإسلام، يحدد بداية نشأة الاستشراق بأول اتصال بين الشرق والغرب قبل الميلاد مع بداية الصراع بين **الفرس واليونان في القرن السادس ق. م، ثم ما كتبه ((هيرودوتس)) اليوناني عن الشرق، ثم الاكتساح اليوناني بقيادة الإسكندر الأكبر بلاد الشرق إلى أن أشرف على أبواب الصين في القرن الرابع ق.م**.

٢- أما من يعرِّف الاستشراق بدراسة الغربيين للإسلام والمجتمعات الإسلامية، فيحدد نشأة الاستشراق:

- بظهور الإسلام وما وقع من جدل وحوار بين المسلمين وأهل الكتاب، ومحاولات اليهود والنصارى للتشكيك في عقيدة المسلمين وفي معجزات الرسول ﷺ.

ويشير إلى هذه النشأة **أحمد عبد الحميد غراب** - بعد أن عرَّف الاستشراق بأنه: **موقف عقائدي وفكري معاد للإسلام - إذ يقول: ((ولاشك أن هذا الموقف قد اكتسب - وما زال يكتسب - أبعاداً جديدة وخطيرة ((ولاسيما في جوانبه السياسية والثقافية)) منذ الحروب الصليبية حتى اليوم**، ولكن هذا الموقف في جوهره النابع من العداوة في العقيدة ليس بجديد، فهو موقف الكافرين موقف الإنكار للرسالة، والتكذيب للرسول ﷺ، وإثارة الشبهات حول الإسلام، وحول القرآن والرسول ﷺ بوجه خاص؛ لتشكيك المسلمين في دينهم ومحاولة ردهم عنه(٣). الأثر الاستشراقي في موقف محمد أركون من القرآن (ص: ٤)

وترسخ هذا الجدل بما كتبه ((يوحنا الدمشقي)) - في بداية القرن الثاني الهجري - من رسائل لمحاورة المسلمين ونصرة إخوانه من النصارى في تلك الفترة(١).

٣- ومن الباحثين من يحدد نشأة **الاستشراق بالفتح الإسلامي للأندلس** في بداية القرن الثامن الميلادي؛ إذ شهدت جامعات إشبيلية، وقرطبة، وغرناطة، إقبالاً كبيراً من الأوربيين لدراسة الحضارة الإسلامية، وخصوصاً مع ازدهار حركة ترجمة الكتب العربية إلى اللغات الأوربية في تلك الفترة(٢).

٤- أما مَنْ حدد **القرن العاشر الميلادي بداية للاستشراق** فأرجعوا ذلك إلى تزايد اهتمام الغرب باللغة العربية وآدابها، وتزايد الاهتمام بحركة الترجمة، وكان من أبرز من اهتم بهذا الاتجاه الراهب الفرنسي

((سلفستر الثاني)) الذي درس في الأندلس ثم تقلد منصب البابوية عام ٩٩٩م، وأوصى بفتح المدارس وبترجمة التراث الإسلامي إلى اللغات الأوروبية(٣).

٥- ويحدِّدُ المستشرق الألماني **((رودي بارت)) القرن الثاني عشر الميلادي** البداية الفعلية للاستشراق مع ظهور أول ترجمة لاتينية لمعاني القرآن الكريم بتوصية من ((بطرس)) الملقب بالمحترم الذي زار الأندلس، وأوصى بإصدار أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللاتينية عام ١١٤٣م(٤).

٦- هنالك من يحدد الحروب الصليبية مع بداية القرن الثالث عشر الميلادي من البدايات القوية لظهور حركة الاستشراق. [١]

٧- ويحدد عدد من الباحثين البداية العلمية لظهور حركة الاستشراق بانعقاد مجمع ((فيينا)) عام ١٣١٢م والذي أوصى بإنشاء كراسي اللغة العربية في جامعات ((أكسفورد)) و((كامبردج)) و((بولونيا)) و ((روما)) و((السربون))(١).

٨- وهنالك من يَعد القرنان: التاسع عشر، والعشرون عصري الازدهار الحقيقي للحركة الاستشراقية؛ إذ ظهرت في هذين القرنين الجمعيات الاستشراقية التي نشطت في إصدار المجلات والمطبوعات الاستشراقية، وشهد القرن التاسع عشر بداية المؤتمرات الدولية للمستشرقين؛ إذ عقد أول مؤتمر دولي عام ١٨٧٣م(٢).

٩- القول الراجح- ((مع اختلاف الكتاب من المسلمين والمستشرقين في تحديد البدايات الأولى لحركة الاستشراق، إلا أن الرأي الذي يذهب إليه أكثر الكتاب أن الاستشراق بدأ مع ظهور الإسلام - وإن لم يحمل هذا المسمى في ذلك الوقت - وازداد في الظهور والانتشار عبر العصور حتى يومنا هذا، مع تنامي الهجمات الغربية الاستشراقية والتشويه المتعمد للدين الإسلامي عبر وسائل الإعلام المختلفة في هذا العصر)).

---

(١) الأثر الاستشراقي في موقف محمد أركون من القرآن (ص: ٥)